خصائص الإصلاح في الغرب الإسلامي

مدارس ومناهج

ندوة عقدت في بني ملال– المغرب، ٧–٨ محرم ١٤٣٢هـ/ ١٣–١٤ كانون أول(ديسمبر) ٢٠١٠م

محمد الناصري[*]

نظم مختبر مقاصد الوحي والتواصل الديني والحضاري برحاب كلية الآداب بني ملال، بالتعاون مع المجلس العلمي المحلي لبني ملال والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ندوة علمية بعنوان: "خصائص الإصلاح في الغرب الإسلامي: مدارس ومناهج". وذلك يومي الاثنين والثلاثاء ٧–٨ محرم ١٤٣٢هـ/الموافق ١٣–١٤كانون أول ديسمبر/٢٠١٠م، شارك فيها (٢٧) باحثاً من مختلف جامعات المغرب، قدموا فيه بحوثاً متنوعة تمحورت حول: مفهوم الإصلاح وسياقات مصادره الذاتية والخارجية، ومدارس الإصلاح الديني في الغرب الإسلامي ومناهجه، وأهمية العوامل الواقعية في الفكر الإصلاحي بالغرب الإسلامي، وآثار الفكر الأوروبي في الإصلاح الديني بالغرب الإسلامي، ورؤية الآخر للإصلاح في الغرب الإسلامي.

وتضمن برنامج الندوة جلسة افتتاحية، تحدث فيها كل من: رئيس جامعة السلطان مولاي سليمان، وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ورئيس المجلس العلمي المحلي، وممثل المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ورئيس مختبر مقاصد الوحي والتواصل الديني والحضاري؛ رئيس اللجنة المنظمة. وقد أجمعوا في مداخلاتهم على أهمية موضوع الندوة وخصوصية الإصلاح في الغرب الإسلامي.

وتوزعت أوراق الندوة على ست جلسات علمية في يومين كاملين، فضلاً عن الجلسة الختامية. وقد تضمن اليوم الأول ثلاث جلسات. ففي الجلسة الأولى عرضت أربع مداخلات؛ إذ قدمت الأستاذة رشيدة زغواني (كلية الآداب/بني ملال) ورقة

[*] باحث في الفكر الإسلامي وحوار الأديان والحضارات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال. البريد الإلكتروني: mohammedennassiri@gmail.com

بعنوان "الوعي الإسلامي وآليات تجديد الإصلاح الديني في المغرب"، أبرزت فيها حقيقة الإصلاح في الغرب الإسلامي، من خلال فحص آليات الفعل الإصلاحي على المستويين: التصوري والتنظيري، كما تطرقت في عرضها لمناهج الإصلاح وآليات تجديد المنظور المعرفي والمنهجي لواقع المسلمين في الغرب الإسلامي. وقدم الأستاذ بنسالم الساهل (كلية الآداب/بني ملال) ورقة بعنوان "الإصلاح بين الدعوة والسياسة في الحركة المرابطية"، حاول فيها استجلاء بعض الجوانب من الحركة الإصلاحية المرابطية، وأبرز السبل والوسائل التي اتبعتها، وأهم نتائج ذلك الإصلاح على الصعيد الفكري والمذهبي والإداري والسياسي. وجاءت ورقة الأستاذ محمد حقي (كلية الآداب/بني ملال) بعنوان "التصور الموحدي للإصلاح"، وبيّن فيها طبيعة الإصلاح في الدولة الموحدية، والتطور والتغيير الذي عرفه على امتداد عمرها، منطلقاً في سعيه هذا من سبع رسائل ديوانية صدرت عن المهدي وأربعة من خلفائه. أما ورقة الأستاذ يوسف عطية (باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال) فكانت بعنوان: "الفكر الإصلاحي عند ابن تومرت بين مقتضيات الوحي، وسنن التاريخ" تناول فيها معالم الفكر الإصلاحي عند ابن تومرت، مع دراسة نقدية للفكر الإصلاحي التومرتي.

الجلسة العلمية الثانية: عرضت فيها أربع ورقات؛ إذ قدم الأستاذ عبد العزيز الضعيفي (كلية الآداب/بني ملال) ورقة بعنوان "الإصلاح الاجتماعي عند العلماء الصوفية المغاربة"، تناول فيها جوانب من الحركة الإصلاحية التي قام بها بعض العلماء الصوفية داخل المجتمع المغربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كما أبرز الأساليب التي اتبعوها في عملية التغيير الإيجابي. وقدم الأستاذ عبد العظيم صغيري (باحث/بني ملال) ورقة بعنوان "ظاهرة التكفير وخصوصية الإصلاح العقدي في الغرب الإسلامي: أبو سالم العياشي نموذجا"، سلط الضوء فيها على جانب خفي في تاريخ الفكر العقدي في المغرب، من خلال حديثه عن خلاصة مركزة للمقاربة التي سلكها الشيخ أبو سالم العياشي في معالجته لظاهرة التكفير، التي فرقت المغاربة شيَعاً ومِللاً في بداية القرن الحادي عشر الميلادي. وأسهم الأستاذ محمد لبيتي (باحث/ بني ملال) بورقة معنونة بـ" أبو الحسن علي اليوسي: نموذج لخصوصية الإصلاح في

المغرب"،عرض فيها مجالات الإصلاح التي تناولها اليوسي وآثارها الاجتماعية والسياسية.

الجلسة العلمية الثالثة: عرضت فيها ثلاث ورقات: الأولى كانت للأستاذ عبد الحق يدير (كلية الآداب/فاس-سايس) بعنوان: "العلامة أبو شعيب الدكالي وجهوده في العلم والإصلاح"، سعى من خلالها إلى إبراز جهود العلامة أبي شعيب الدكالي في العلم والمعرفة، وإيضاح جهود الشيخ الإصلاحية والتربوية. وقدم الأستاذ جمال اسطيري (كلية الآداب/بني ملال) بحثاً بعنوان: "قراءة نقدية في إصلاح ابن الموقت من خلال: الرحلة المراكشية"، وقد أبرز فيه مجالات المشروع الإصلاحي لابن الموقت، التي شملت مجال العقيدة، والسياسية، والتربية والتعليم. أما الورقة الثالثة فكانت بعنوان: "سؤال الإصلاح عند الشيخ محمد بن جعفر الكتاني من خلال رسالة: نصيحة أهل الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها الخاص منهم والعام"، وقدمها الأستاذ محمد طاهر (كلية الآداب/بني ملال) متناولاً في ورقته: سياق الرسالة "النصيحة "وموضوعها، والخطاب الإصلاحي في الرسالة، ومفاتيح الخروج من الأزمة التي اقترحها الكتاني.

أما اليوم الثاني فقد عقدت فيه ثلاث جلسات؛ إذ احتوت الجلسة العلمية الرابعة على أربع ورقات: أولها للأستاذ الجيلالي المريني (كلية الآداب/فاس-سايس) بعنوان: "أسس الإصلاح عند الإمام الشاطبي من خلال الموافقات"، عرض فيها: أسس الإصلاح عند الإمام الشاطبي، التي منها: مطابقة العلم العمل، ومعرفة الواقع معرفة دقيقة للبناء عليه...، إلى غير ذلك من الأسس التي تنهض بالإصلاح وفق خطة محكمة مرتبطة بالواقع وشرع الله. أما الورقة الثانية فكانت للأستاذة عائشة شهيد (كلية الآداب/بني ملال) وهي بعنوان: "التأليف في علوم الحديث عند المغاربة: التأثير المشرقي والخصوصية"، وقد رامت الورقة إبراز تأثير مدرسة الحديث بالمشرق على المحدثين بالمغرب، ثم حاولت تلمس ما امتازت به المدرسة الحديثة بالمغرب عن نظيرتها المشرقية. أما ورقة الأستاذ فؤاد بن أحمد (دار الحديث الحسنية/الرباط) فكان عنوانها: "الإصلاح الديني عند ابن رشد: خطاب في المنهج"، وأكد فيها على أن الخطاب الإصلاحي لابن

رشد قد اتخذ بعداً منهجياً أكثر مما انصب على المضامين، كما أبرز خصائص المنهج الذي اتبعه ابن رشد في مشروع التصحيح الديني. وحملت الورقة الرابعة عنوان: "أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي" للأستاذ خالد الوزاني (كلية الآداب/بني ملال)، وتطرق فيها إلى العمل العلمي الرصين والضخم الذي قام به الباجي وغيره من علماء عصره، للنهوض بالأمة عقيدةً وفقهاً وسلوكاً.

وعُرضت في الجلسة الخامسة أربع ورقات؛ إذ قدم الأستاذ عبد المجيد معلومي (كلية الآداب/مراكش) ورقة بعنوان: "المنهج الإصلاحي للإمام السنوسي في تقرير العقيدة الأشعرية"، أكد فيها على أن السنوسي إمام مصلح ومجدد بالنظر إلى عمق مشروعه الإصلاحي في المجال العقدي، داعياً إلى ضرورة تجديد تراث الأشاعرة، وكذا الاهتمام بأعلامها ومصلحيها. وقدم الأستاذ خالد زهري (الخزانة الملكية/الرباط) ورقة بعنوان: "من خصائص الإصلاح السياسي والمعرفي عند محمد بن علي الخروبي الطرابلسي"، تناول فيها مستويات الإصلاح عند أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت٩٦٣هـ)؛ إذ شملت ما هو معرفي واقتصادي وسياسي. أما الورقة الثالثة، فحملت عنوان: "جهود الإصلاح بالمغرب العربي: سؤال الخصوصية في تجربة خير الدين التونسي الإصلاحية"، وهي للأستاذ محمد علا (كلية الآداب/بني ملال)، وتطرق فيها إلى عناصر الخصوصية في تجربة خير الدين التونسي الإصلاحية، ونقاط القوة والضعف في هذه التجربة الإصلاحية، ولماذا لم يكتب لها النجاح والاستمرار. وقدمت الأستاذة خديجة الكود (كلية الآداب/بني ملال) الورقة الأخيرة في هذه الجلسة، وعنوانها: "الواقعية في الفكر الإصلاحي عند علال الفاسي"، وحددت مرتكزات واقعية الإصلاح عند الفاسي في ثلاثة أبعاد كبرى هي: البعد العلمي القائم على الاجتهاد والتجديد، والبعد المنهجي القائم على الشمولية والتكامل، والتصور الإصلاحي للمؤسسة المجتمعية والسياسية.

وقدمت في الجلسة العلمية السادسة والأخيرة خمس أوراق، وقد افتتح عروضها الأستاذ: إبراهيم رضا (كلية الآداب/مراكش) بورقة معنونة بـ"بعض محاولات إصلاح

الأوقاف بالمغرب الحديث"، أكد فيها على أن نظام الوقف أحد الأسس المهمة للإصلاح الشامل للأمة، وهو إصلاح يمكن أن يحقق نهضة في مختلف المجالات، كما تطرق إلى بعض محاولات إصلاح هذا النظام بالمغرب الحديث. أما الورقة الثانية فكانت بعنوان: "خصائص التجربة الإصلاحية في المغرب خلال القرن ١٩: بحث مقارن"، وهي للأستاذ محمد بالعربي حواش (كلية الآداب/بني ملال)، وحاول فيها الإجابة على سؤال مهم وهو: هل كان منشأ التجربة الإصلاحية في المغرب قناعةً مغربيةً ذاتيةً بضرورة الإصلاح وحتميته؟ أو كان من وحي جهات أجنبية من داخل العالم الإسلامي أو خارجه؟ وبمعنى آخر ما هي الجهات التي استلهم منها المغرب تجربته الإصلاحية؟ وتناول الأستاذ محمد خروبات (كلية الآداب/مراكش) موضوع "المقاومة الفكرية ودورها في الإصلاح والتحرير"، رصد من خلالها ماهية المقاومة الفكرية؟ ومن قادها؟ وكيف يكون الفكر الإسلامي سلاحاً مخيفاً؟ وما هو دور مؤسسات التعليم الإسلامي في المقاومة، وكيف هي الصيغة السلفية للإصلاح؟

أما الأستاذ خالد الدادسي (كلية الآداب/مكناس) فقد أسهم ببحث وُسم بـ"الحركة الإصلاحية في المغرب الحديث"، تناول فيه: حقيقة تجربة الإصلاح في المغرب الحديث من منظار إسلامي، ومدى إمكانية الاستفادة من التجربة الإصلاحية الحديثة في المغرب لتأسيس خطاب إصلاحي متكامل ومعاصر. ومدى قدرة الفكر الإصلاحي الحديث على صياغة مقومات الهوية المغربية وخصوصياتها، والإجابة عن أسئلة المجتمع الحضارية. وكانت آخر أوراق الندوة للأستاذ عبد الغاني العجان (باحث/بني ملال) وحملت عنوان: "الفكر الأدبي الإصلاحي المغربي الحديث: محمد بن الحسن القباج نموذجاً، وقد حاورت الورقة عدة قضايا منها: الفكر الأدبي المغربي الحديث في ظل الإصلاح، والنقد الأدبي المغربي عند القباج وخطاب الإصلاح، وتجليات خطاب الإصلاح في التجربة النقدية للقباج.

وقد أعقبت كل جلسة نقاشات وحوارات قيمة حول الأوراق التي قدمت، أسفرت تلك البحوث والحوارات عن هموم مشتركة وتوصيات نجملها فيما يأتي:

* ضرورة بناء إستراتيجية لمشروع إصلاحي من خلال مقاصد الوحي، وتأسيس قواعد لتواصل ديني وحضاري.

* الدعوة إلى تحقيق التراث المخطوط المغربي المتصل بالفكر الإصلاحي، وقضاياه القطاعية عبر تاريخ المغرب.

* إنجاز موسوعة جامعة تستوعب مجموع أعلام الفكر الإصلاحي المغربي، وإسهاماتهم العلمية حسب مجالاتها وامتداداتها الموضوعية.

* الدعوة إلى ربط جميع المدارس الإصلاحية بالغرب الإسلامي؛ فلسفةً ومقصداً بمصدرها القرآن والسنة.

* التنصيص على عدّ الإصلاح العقدي المتماهي مع الأخلاق بداية حقيقية للإصلاح.